في تخليصهم بمثل هذه الحملات والغارات سوى ما كان لهم دراية بالانتظام ولا يعتمد عليهم في المحافظة على الجهات وغير ذلك فان قورطيس كان على رغبة زائدة من محافظته على المدينة وعدم خرابها اصلا في كونه يجعلها عاصمة فتوحاته ويحافظ على بقا هياكلها ومبانيها فخرا واسمها بالحالة من اجل هذا مكث نحو شهر من بعد امتداد الحرب في مناوشة واشغال بطيئة الحركة وظهر من المكسيكيين شجاعة وبسالة ليست اقل مما كان حاصلا من الاسبانيين في الغارة والهجوم عليهم وكان لهم حركة مهولة شديدة على الارض والماء في الليل والنهار وكانت كل شدة مهولة تصغيرها اخفها على الاسبانيين حتى قتل منهم الكثير وجرح الكثير واستعدوا للغرق تحت اعباء هذه الحركات التي زاد ضررها وازاها بهم مما تقتير المصايب وحوادث الفصول وابتداءات الامطار في النزول بحالتها الشديدة والمعتادة في كل هذه الاسباب عول قورطيس على الهجوم على المدينة والتغلب عليها عنوة وفي يوم ٣ يونية اصدر اوامره وتعليماته الى الورده وسندوفال بالزحف مع فرقتهما في هجوم عام وقاد بنفسه الفرقة الموجودة على رصيف تيكويوكان وتشجع الاسبانيون بوجوده معهم واقتحموا الهجوم بقوة شديدة ومروا من متراس الى متراس ومن خندق الى خندق حتى دخلوا قلب المدينة مكتسبين على الدوام ارضا فيها مهما كانت قوة اخصامهم وكثرة عددهم ولو ان قورطيس حصل له السرور وانشراح الصدر من سرعة تقدم حركته فانه ما اهمل ضرورة حفظ رجعته فمن اجل التحفظ عليه عين يوليان دو الديريطي ضابط مشهور من ضمن الذين وردوا من اسبانيوله وامره بردم الخنادق والثغور الموجودة في طول خط الرجعة كلما اخذ العسكر في التقدم بالهجوم فراى هذا الضابط انه من العار و العضاضة عليه انه يستخدم في مثل هذه الخدمة واصحابه في حرارة المعمعة وفي حالة الظفر ونسي اهمية ما عهد اليه واسرع في تركه والتحق بالمحاربين فلما راى المكسيكيون وكانت حالتهم تحسنت في فن الحرب واخذة في الزيادة يوميا مما وقع من هذه الحركة اخبروا ملكهم بها فاغتنمها الملك في الحال عند ما راى هول ما وقع من خطأ الاسبانيين وامر كره ابوافقة في المواجهة بتخفيف حركاتهم حتى يسمحوا للاسبانيين في الاقتحام الى الامام وامر بارسال جموع من شجعان عساكره بتوجههم من حارات مختلفة بعضهم من البر وبعضهم من الماء الى الثغر الاكبر الموجود في الرصيف الذي تركه الاسبانيون مفتوحا واشار الى القسس الموجودين في الهيكل الاكبر بضرب الطبل الكبير المخصوص لاله الحرب فلما سمع المكسيكيون صوته المحزن حسبوه انه الهام لهم في احتقارهم الموت وبث فيهم الحمية والحماسة واقتحموا ابتدرة وغضب في الهجوم على اعداهم مما كان للاسبانيين طاقة بها وعموا بها ما فاحت جهارا حمية الدين واتفل النصر وشرعوا في القهقرة وانتهزوا الفرصة في الابتدا على الرجعة مع الانتظام ولما كبس عليهم عددهم وصاروا على غير صبر في النجاة بانفسهم عم فيهم الفزع والخوف حتى انهم عند وصولهم الى الثغر الكبير الموجود في طريق رجعتهم وقع فيهم الفشل والارتباك واختلط الاسبانيون والهنود والراكب والراجل وكبس عليهم المكسيكيون من كل جانب بقواربهم الصغيرة وما كان للسفن طاقة في التقرب منها واجتهد قورطيس وبذل ما في طاقته في توقيف عساكره من بعد فرارها او جمعها حيث كان اجتهاده على غير طائل وما نظروا الحركة او سمعوا اوامره ولما راى انه هو اجتهاده في عدو الحرب لا ثمرة فيه شرع في خلاص الذين رموا انفسهم في الماء وفي اثناء اشتغاله بهذه الاشغال من اجل شرف موقعه سطى عليه ستة من ضباط المكسيكيين بغتة وحملوه واسرعوا به مع الفرح والنصر فخلصه اثنان من ضباطه بالجرح جروحات خطره وقتل في طريق الرجعة ستون من الاسبانيين وقبض المكسيكيون على اربعين على قيد الحياة وقربوهم قربانا لاله الحرب وزينوا مدينتهم بالليل بالانوار علامة على احتفلوا بنصرتهم على الاسبانيين وحصل لقورطيس الكرب والخطر الشديد حتى تركه حلفاؤه من الهنود ثم عدد قليل فانه معهم بما اهمله اياهم وعادوا لما كانوا عليه وفي ظرف مدة قليلة اجتمع عنده على حسب اقواله ١٥٠٠٠٠ نفس من الهنود ومع ما كانت عليه من كثرة هذا الجيش فانه راى انه من حزم الراي على طريقة حسنة في الهجوم وانه يبدل العزم في التغلب على المدينة عنوة في الحال بحرارة وما في يتولد منها اخطار ومصاعب

ومصاعب مثل ما وقع فانه يجري هذه الحركة على التدريج مع كل احتراز حتى لا تكون عساكره عرضة للدمار والشتات وانه يجر ويتغلب على اي جهة من المدينة يهدموها ويسووها بالارض اثم شرع على التدريج في هذه الحركة وارغم المكسيكيون يوما فيوما على القهقرة كلما تقدم عسكرهم حتى صاروا في داخل حدود ضيقة ولو ان جاطيموزين ما كان له طاقة على صد اعداه فانه داوم في المحافظة على عاصمته وبذل طاقته وما في وسعه في المحافظة على كل شبر من ارضها وبدل الاسبانيون طرق قواعد هجومهم وامرهم قورطيس بالمحاربة بالرماح الطويلة وجعلوها بدل الرماح القصيرة التي كانوا يحاربون بها وتمشوا في حركات حربهم وتغيبتهم حتى طردوا امامهم المكسيكيون من دون ضرر كبير وقع فيهم وكان يهلك من المكسيكيين في كل يوم الجم الغفير وفي اثنا ما كان الحرب ناشبا باظفاره ابتدا فيهم الجوع والقحط في داخل المدينة وكانت السفن الاسبانية حاكمة على كافة مياه البحيرة وصار لا يمكن دخول اي مؤونة في داخل المدينة للمكسيكيين من مياه البحيرة ومن كثرة وجود عساكر الهنود الموجودة مع قورطيس صار له طاقة على قفل كافة المنافذ والسكك الموصلة من طريق البر الى المدينة وعجزت مخازن جاطيموزين من المؤونة التي كان جمعها فيها من كثرة الجموع المزدحمة في المدينة من اجل حماية ملكهم والهتهم ومحلات عباداتهم وال امر الاغنيا والوجوه والاغنيا والفقرا الى درجة واحدة في الجوع والقحط ومع ما كان عليه المكسيكيون من حالة هذه الاهوال والمصايب فان جاطيموزين ما زال كان باقيا على عقله وعدم خضوعه ورفض مع تقطيب الوجه كل خبر ورد من قورطيس يخص عمل الصلح ومن ١٧ يوليه استمر الاسبانيون في زحفهم حتى وصل الثلاث فرق الى الميدان الاكبر للعاصمة الموجود في وسط المدينة وحصنوا لانفسهم مواقع فيها وفي هذا الوقت خضع ثلاثة ارباع المدينة وهدمت اماكنها وكبس الاسبانيون على الربع الباقي وعند اشراف المكسيكيين سلامة ملكهم المحترم عندهم فاشاروا عليه بالخروج من المدينة ومن هذا المحل الذي لا فائدة في المدافعة عنه وتوجه الى اقاليم بعيدة من مملكته يجمع فيها عساكره ويداوم على حربه مع عدو عموم مملكته ومن ثم شرعوا في مخابرة خضوع مع قورطيس حتى انه في اشتغال باله في تحرير موادها وعقدها يتمكن جاطيموزين من الهروب والنجاة بنفسه من دون ان يراه احد وكان قورطيس على تيقظ وحرص زائد في مثل هذه التصفيات وحصل عنده ارتياب وشبهة من مخابراتهم هذه فعين سندوفال في قيادة البحيرة وامره بالتيقظ والمراقبة لكل حركة تحصل من العدو وفي اثنا ما كان سندوفال مراقبا حركات عدوه شاهد عدة قوارب سايرة بسرعة في مياه البحيرة موسوقة بناس فاخرج عليها في الحال القوارب الاسبانية مع سرعة الحركة فقبضوا عليها وكان جاطيموزين فيها فقبضوا عليه وقادوه الى قورطيس ولما قابله قورطيس قال الملك انا الذي فعلت هذا ورمي نفسه على قورطيس واني حافظت ودافعت عن قومي على اخر نفس عندي وما بقى على الان شي الا الموت فخذ هذا الخنجر وعد بيده الى خنجر من الخناجر التي كان لابسها قورطيس واغرسه في قلبي واقطع حياة رجل ما بقي فيه اولا منفعة لقومه وفي ١٣ اوغسطوس لما عرف المكسيكيون منتهى عاقبة ملكهم انقطعت همتهم ومقاومتهم واستحوذ قورطيس على ما كان باقيا من المدينة من دون دمار وهدم ومن ثم انتهى حصار مكسيكا اشهر حادثة واكبر واقعة في التاريخ الامريكي وكانت عاقبة المدينة هي عاقبة كافة عموم المملكة ودخلت اقاليمها في الطاعة والخضوع لفاتحيها واحد بعد الاخر وسارت عدة فرق صغيرة اسبانية في داخلها من دون ضرر او اذى حتى وصلت تلك الفرق الى البحر المحيط الاوقيانوس الجنوبي الذي كان الاسبانيول يتصورون على حسب تصورهم انه مفتاح طريق قصير سهل السفر الى الهند الشرقي ووطدوا للتاج قطيعة تلك الاقاليم الخصبة وشرع قورطيس من بعد هذا في العزم في مشروعات اكتشافات جديدة وما كان على دراية في اثنا تقدم عساكره المنصورة في مكسيكا ان عمل المشروع الذي شغله في عقله من اجل وصوله الى الهند الشرقي سبقه فيه غيره وتم امره و ذلك ان فرديننو مجلان رجل شريف المولد من البرتغال كان استخدم عدة سنوات في الهند الشرقي مع الشرف والعز والشهرة تحت قيادة البوكيرك البحري المشهور في البرتغال ثم طلب مكافئته على ما اداه من خدماته حسب استحقاق العسكرية ولما لم يسمح له حاكم بذلك ومن بعد انتظار العدل الاكيد من مليكه على خدمته ترك الهند الشرقي وعاد كئيبا حزينا الى لشبونه